

مدرجات عمرها مئات السنين
في الأطلس الصغير

المزارعون المغاربة أهّلوا الوعر منذ القدم مدرجات زراعية في جبال الأطلس

تحولت بعض المنحدرات في الأطلس الصغير إلى سلسلة متتالية من المدرجات تدعى بالأمازيغية المحلية «إغرامان»، للدلالة على الجدار الحجري الداعم للتربة في حقول المدرجات، كما توحى الكلمة بالدفاع والحماية والتحصين. وليست هناك زراعة ممكنة على تلك المنحدرات من دون هذه التقنية الممتازة.

يتطلب العيش والإنتاج في هذه المناطق الوعرة تدبيراً متكاملًا للموارد والوسائل وتسخيراً مبتكراً للتقنية والمعرفة، في إطار مؤسساتي وتنظيمي خاص. فبعد استقرار الإنسان هناك ونمو الحاجة إلى الغذاء، تم اللجوء إلى إنشاء المدرجات لتوسيع المساحات المزروعة حسب عدد الأسر المستفيدة منها. وعلى رغم صغر هذه المساحات وصعوبة التضاريس، تمكن السكان من تحقيق إنتاج زراعي متنوع من أشجار مثمرة وخضر في المدرجات المروية، وشعير ومحاصيل موسمية وأشجار أخرى تحتل الجفاف

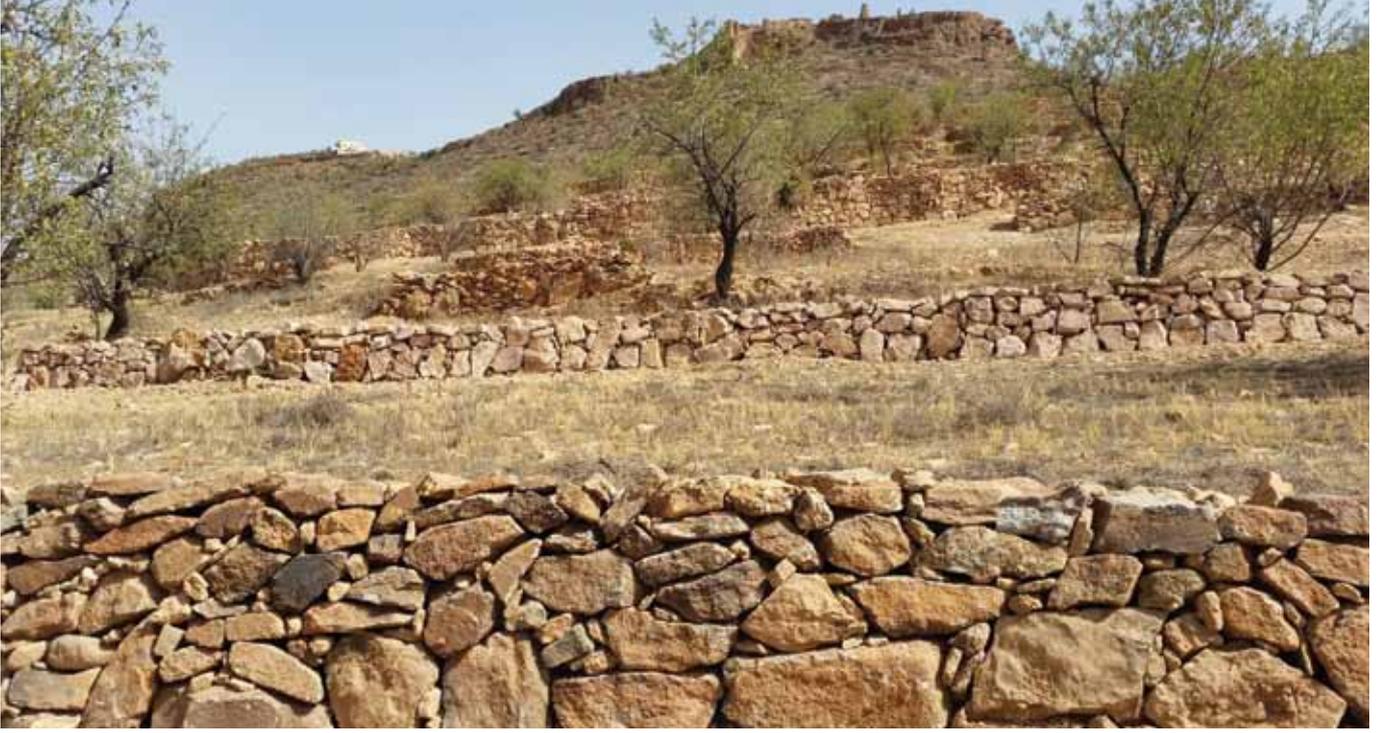
محمد التفراوتي (الرباط)

جبال شامخة في سلسلة الأطلس الصغير في المغرب تحمل علامات حضارة زراعية باهرة، يمكن قراءتها على المنحدرات المهيأة بمدرجات لا تحصى تضي على المكان مظهر الطبيعة «المشيده». ويعود إنشاء بعضها إلى مئات، وربما آلاف، السنين.

المدرجات الزراعية خاصة جغرافية للمناطق الجبلية الوعرة في أنحاء العالم، حيث يتم تحويلها إلى مساحات قابلة للاستغلال الزراعي وتلبية الحاجات الغذائية. ويلاحظ أن المزارعين في هذه المناطق المتخرسة ابتكروا حلولاً تقنية وتنظيمية متشابهة لمواجهة الظروف الطبيعية، على رغم اختلاف انتماءاتهم الثقافية والتاريخية والجغرافية، إذ نجد الآلية ذاتها تقريباً في المكسيك والصين ودول البحر المتوسط وغيرها.



أنشأها سكان
الجبال المغربية
ليقدروا على زراعة
المنحدرات، لكن
الإهمال والتغيرات
المناخية تهدد
بانحثارها



مدرجات زراعية أعيد تأهيلها



حملة توعوية وتدريبية

لمزارعين في الجماعة القروية
إذاوكنضيف، على الأهمية
الاقتصادية للمدرجات
وتقنيات ترميمها

الطوفانية مؤخراً. وأثر ذلك على بنيات أخرى، كتوحد
السدود وانهيار الطرقات وانجراف التربة، مما بات يهدد
بانهيار المدرجات واندثارها كلياً. وهذا يستدعي اتخاذ
تدابير عاجلة لتفادي فقدان هذا النظام البيئي والموروث
الزراعي للأطلس الصغير.

ويعمل مشروع إعادة تأهيل المدرجات، بتعاون بين
المركز الجهوي للبيئة والتنمية والديرية الإقليمية للقلاعة
في أكادير والوكالة الألمانية للتعاون الدولي (GIZ)، على
تنفيذ برنامج تدريبي وإعلامي لتقاسم المعرفة في منطقة
عدد من القرى، وقام بإعادة تأهيل المدرجات وغرس أنواع
نباتية ذات فائدة من قبيل أشجار الأركان واللوز والصبار،
فضلاً عن برنامج توعوي سنوي يدمج إشكالية تغير المناخ
والتكيف مع آثاره في الأنشطة المدرسية. ■

في الأراضي البعلية المعتمدة على مياه الأمطار.
يقول الباحث عبدالرحمن آيت الحاج، منسق مشروع
إعادة تأهيل المدرجات لتعزيز قدرات التكيف مع تغير المناخ
في المجتمعات القروية الهشة في الأطلس الصغير، إن معظم
المدرجات الزراعية في منطقة سوس في جنوب المغرب تشهد
إهمالاً ملحوظاً، خصوصاً مع ازدياد تواتر الجفاف، نظراً
لانخفاض مردودية المحاصيل وانجذاب الشباب إلى أنشطة
أخرى. ذلك أن دخل سكان قرى الأطلس الصغير يعتمد
على استغلال الموارد الطبيعية والزراعة وتربية المواشي،
فضلاً عن استغلال شجر الأركان والمدرجات.

يعد بناء المدرجات الزراعية الوسيلة الأكثر نجاعة
لحماية التربة واستغلالها، مقترنة مع تجميع مياه
الأمطار. وتتميز هذه المناطق بقلة الأمطار وتذبذبها، مع
سقوطها غزيرة أحياناً. وللمدرجات دور هام في التكيف
مع هذه المتغيرات، وهي من ركائز «اقتصاد الندرة» الذي
يعتمد أيضاً على تخزين البذور والمؤن واعتماد آليات الري
التقليدية المقتصدة. وتسهل المدرجات نفاذ الفائض من الماء
إلى التربة، وتقلل من سرعة جريانه على السفوح، مع الحد
من التعرية وضياح التربة بفعل هذا الجريان.

لكن هذه المدرجات تستوجب العناية والتطوير لتستمر
في دعم قدرات السكان والنظم البيئية، خصوصاً لما تعرفه
المنطقة اليوم من تغيرات مناخية وما يترتب عنها من
عواقب. وقد كان للجفاف وقلة الأمطار أثر سلبي على
المدرجات، بحيث انخفض مستوى استغلالها والعناية
بها. ويرتبط التخلي عن استغلال هذه المدرجات بالمردودية
الاقتصادية المتناقصة لممارسة الزراعة، مقارنة مع بدائل
كالهجرة وأنشطة اقتصادية أخرى، وقد أدى إلى تدهور
ملحوظ في هذه المدرجات ازدياد حدة مع تواتر الأمطار